

# ذات الصواري

رسوم  
إبراهيم سمرة

بقلم  
عبد الحميد عبد المقصود



الناشر  
المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

١٠ شارع دانيال صافر بالقاهرة - القاهرة - ١١٨١٥٥

يقول عنها المؤرخون إنها من أعظم المعارك البحرية على  
مر العصور ، ويضيف آخرون أنها أقوى معركة شهدها البحر  
الأبيض المتوسط منذ واقعة أكتيوم الشهيرة عام ٣١ ق م .  
هي ذات الصواري ، المعركة البحرية الكبرى التي جرت  
عام ٦٥٥ م بين المسلمين بقيادة عبد الله بن أبي سرح وقوات  
الإمبراطورية البيزنطية بقيادة قسطنطين بن هرقل .  
وقد نسجت أحداث تلك المعركة قبل حدوثها بوقت طويل ،



وَذَلِكَ عِنْدَمَا تَقْدُمُ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وَالْيَ

الشَّامَ إِلَى خَلِيفَةِ الْمُسْلِمِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ،

يَطْلُبُ مِنْهُ إِعْدَادَ حَمَلَةٍ بِحَرِّيَّةٍ

كُبْرَى لِفَتْحِ جَزِيرَتِي

قَبْرُصَ وَرُودُسَ .



وَفَكَرَ عُثْمَانُ طَوِيلًا فِي هَذَا الطَّلَبِ ، فَفِي عَامِ ٦٤٨ م وَفَتْ  
أَنْ تَقْدَمَ مُعَاوِيَةُ بِطَلْبِهِ ، لَمْ يَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ خَبِيرَةٌ كَافِيَةٌ بِقُنُونِ  
الْقِتَالِ فِي الْبَحْرِ ، وَمِنْ ثَمَّ خَافَ عُثْمَانُ مِنْ تِلْكَ الْمَغَامَرَةِ ،  
وَقَالَ لِمُعَاوِيَةَ : إِنَّنِي أَوْافِقُ بِشَرْطِ عَدَمِ إِجْبَارِ أَحَدٍ عَلَى رُكُوبِ  
الْبَحْرِ ، وَيَقْتَصِرُ الْأَمْرُ فَقَطْ عَلَى الْمُتَطَوِّعِينَ الرَّاغِبِينَ مِنْ جُنْدِ  
الْمُسْلِمِينَ .



وعلى الفور بدأ معاوية بن أبي سفيان يُجهز حملته ، فقام  
بجمع فريق ضخم من الصناع المهرة ، ليصنعوا السفن المطلوبة .  
ثم أعلن عقب ذلك نفير الحرب وطلب متطوعين لأداء تلك  
المهمة الصعبة .



وَكَانَتْ الْمُفَاجَأَةُ الْكُبْرَى الَّتِي لَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّعُهَا أَحَدٌ ، هِيَ  
تِلْكَ الْأَعْدَادُ الْهَائِلَةُ مِنَ الْمُتَطَوِّعِينَ الَّتِي جَاءَتْ تَطْلُبُ  
الِاشْتِرَاكَ فِي الْحَمْلَةِ ، جُمُوعٌ غَفِيرَةٌ تَوَالَتْ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ  
لِتَكْتَمِلَ الْأَعْدَادُ الْمَطْلُوبَةُ لِلْحَمْلَةِ فِي وَقْتٍ وَجِيزٍ ، وَعَلَى  
الْفَوْرِ بَدَأَ التَّدْرِيبُ وَالْإِعْدَادُ .

ثُمَّ قَرَّرَ مُعَاوِيَةُ خُرُوجَ الْحَمْلَةِ تَحْتَ قِيَادَةِ الْقَائِدَيْنِ : أَبِي قَيْسٍ  
الْحَارِثِيِّ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ ، وَهُمَا مِنْ قَادَةِ الْمُسْلِمِينَ  
الْأَبْطَالِ .

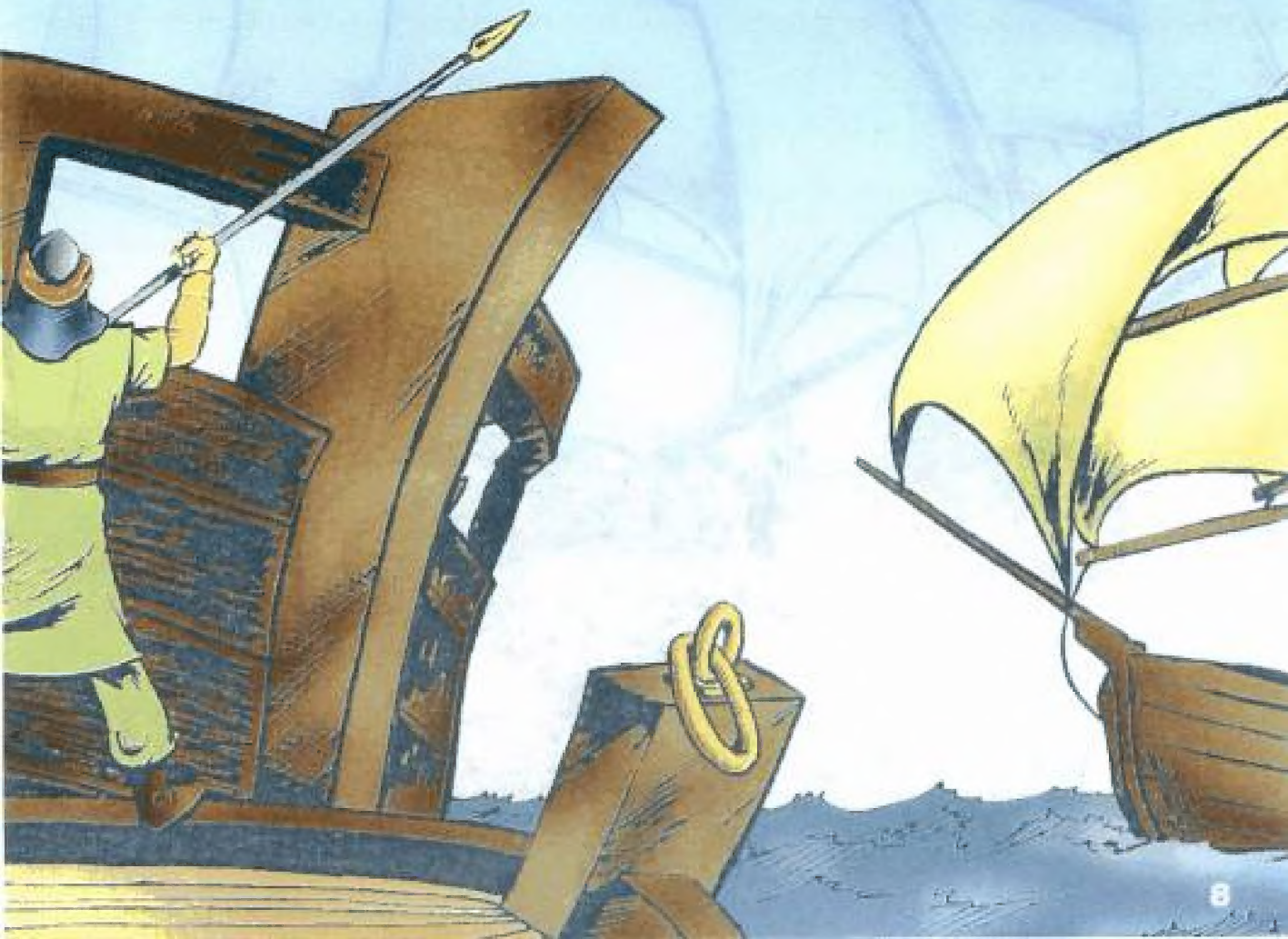


وَأَبْحَرَتْ مَرَاكِبُ الْمُسْلِمِينَ تَحْمِلُ الْعُدَّةَ وَالْعَتَادَ صَوْبَ  
قُبْرَصَ ، وَعِنْدَ مَشَارِفِهَا بَرَزَتْ مَرَاكِبُ الْبِيزَنْطِيِّينَ لَتَتَصَدَّى  
لِهَذَا الْهَجُومِ الْبَحْرِيِّ الْكَبِيرِ الَّذِي يُنَظَّمُهُ الْمُسْلِمُونَ .



فَقَدْ كَانَ الْبِيزَنْطِيُّونَ هُمْ سَادَةُ الْبَحْرِ وَمُلُوكُهُ آنَذَاكَ ، وَمِنْ  
الْخَطُورَةِ بِمَكَانٍ ظُهُورُ أَى قُوَّةٍ بَحْرِيَّةٍ أُخْرَى عَلَى مَسَرِّحِ الْأَحْدَاثِ .  
مِنْ هُنَا حَشَدَ الْبِيزَنْطِيُّونَ أَكْبَرَ حَشْدٍ بَحْرِيٍّ لِلرَّدِّ عَلَى حَمَلَةِ  
الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيٍّ وَصَدَّهَا .

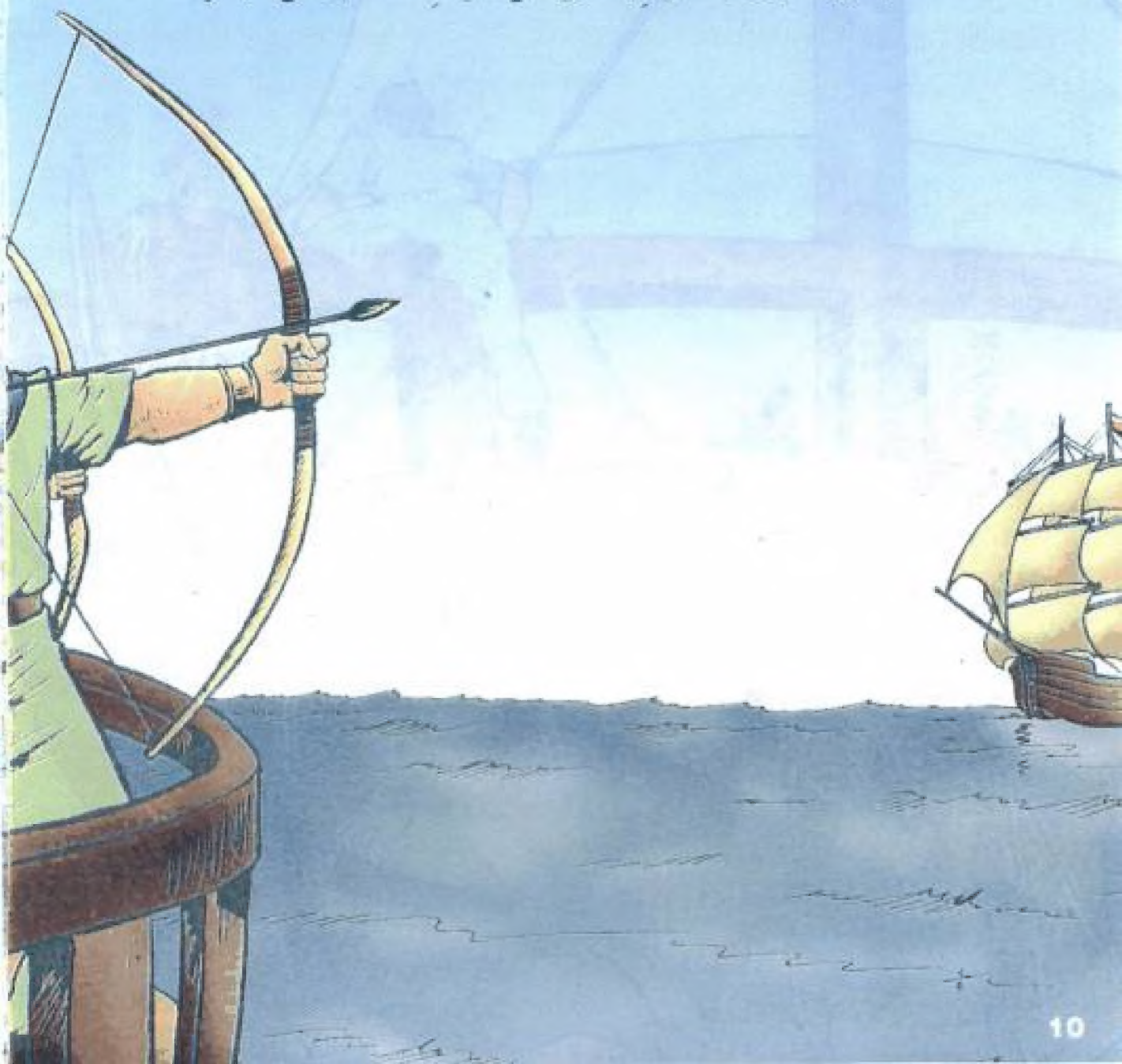
وَتَدَوَّرَ الْحَرْبُ سِجَالًا بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ فَيُسْتَشْهَدُ الْقَائِدُ أَبُو قَيْسٍ  
الْحَارِثِيُّ ، وَيُكْمِلُ الْمَعْرَكَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَرِّحٍ ، إِلَى أَنْ  
يَنْتَصِرَ جُنْدُ الْمُسْلِمِينَ فِي النَّهَايَةِ وَيَتِمَّ فَتْحُ جَزِيرَةِ قُيْرُصَ .





ومنها تَنْتَقِلُ جيوشُ المُسلمينَ بِكَافَةِ مُعَدَّاتِهَا صَوِّبَ جَزِيرَةَ  
رُودَسَ لِفَتْحِهَا هِيَ الأُخْرَى .

إلا أَنَّهُ بَعْدَ هَذَا الفَتْحِ ثَارَتْ ثَائِرَةُ البِيزَنْطِيِّينَ ، فَأَعْلَنَ  
قُسْطَنْطِينُ بَنُ هِرَقْلَ القَائِدُ البِيزَنْطِيُّ الشَّهِيرُ - أَنَّهُ سَوْفَ يُجَهِّزُ  
حَمْلَةً بَحْرِيَّةً كُبْرَى يَقْضِي بِهَا عَلَى كُلِّ نُفُودٍ لِلْمُسلمينَ فِي البَحْرِ .





وبالفعل أعدَّ القائدُ البيزنطيُّ حَمْلَةً مِنْ سِتْمَاةٍ سَفِينَةٍ ، وقادَ  
الْحَمْلَةَ بِنَفْسِهِ فِي عَرْضِ الْبَحْرِ الْمُتَوَسِّطِ . وَعَلَى الطَّرَفِ  
الْمُقَابِلِ تَقْدَمُ الْقَائِدُ الْمُسْلِمُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَرْحٍ بِمَائَتِي  
سَفِينَةٍ ، لِيَلْتَقِيَ الطَّرَفَانِ عِنْدَ مَنَاطِقَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ شِوَاطِئِ  
الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ .

ثُمَّ نَاحَاةٍ سَفِينَةٍ تَقْتُلُ وَجْهًا لَوَجْهِ فِي أَكْبَرِ مَعْرَكَةٍ بَحْرِيَّةٍ  
يَشْهَدُهَا التَّارِيخُ الْإِسْلَامِيُّ .



بَدَأَتْ الْجَوْلَةُ الْأُولَى بِتَبَادُلِ السَّهَامِ ، كُلُّ يَتَحَيَّنُ الْفُرْصَةَ مِنْ  
بَعِيدٍ لِاصْطِيَادِ خَصْمِهِ ، وَاسْتَمَرَ الْحَالُ هَكَذَا ، إِلَى أَنْ أَنْهَى كُلُّ  
فَرِيقٍ مَخْزُونُهُ مِنَ السَّهَامِ ، وَهَذَا بَدَأُ الْمُسْلِمُونَ جَوْلَتَهُمْ  
الثَّانِيَةَ ، فَاتَّجَّهُوا نَاحِيَةَ سَفْنِ عَدُوِّهِمْ وَأَلْقَوْا سَفْنَهُمْ بِهَا ،  
لِتَتَحَوَّلَ السَّفْنُ جَمِيعًا إِلَى سَاحَةِ مُتَّصِلَةٍ ، لَا تَخْتَلَفُ كَثِيرًا عَنْ  
سَاحَةِ آيَةِ مَعْرَكَةِ بَرِّيَّةٍ أُخْرَى .



وتلتحم الصّواري جميعها مُكوّنة تشكيلاً ضخماً جعل  
الجميع يتندّرون به ويطلقون اسمه على المعركة تُسمى بـ « ذات  
الصّواري » أي المعركة التي اشترك فيها عدد كبير من صواري  
المراكب المُنتشرة .

ويضع المسلمون في اعتبارهم أن هذه المعركة هي أصعب  
اختبار لهم وعلى أساسه يُمكن أن تتسع الدّولة الإسلاميّة  
لتمتدّ من نهر جيحون شرقى فارس إلى المُحيط الأطلسيّ  
على السّاحل الغربيّ لبلاد المغرب ، ومن المُحيط الهندي  
جنوباً إلى بلاد القوقاز وبحر قزوين والبحر  
الأسود شمالاً .





وَيَدُورُ الْقِتَالُ بِالسِّفُوفِ وَالْحِثَاجِرِ وَالْحَرَابِ إِلَى أَنْ يَتَحَوَّلَ لَوْنُ  
الْبَحْرِ إِلَى اللَّوْنِ الْأَحْمَرِ مِنْ كَثَرَةِ الدَّمَاءِ الَّتِي تَخْتَلِطُ بِمَيَاهِهِ .  
وَيَذُرُّ الْقَائِدُ الْبِيزَنْطِيُّ قُسْطَنْطِينَ أَنْ قُوَّاتِهِ - مَعَ كَثَرَةِ  
عَدَدِهَا - قَدْ انْهَزَمَتْ وَخَسِرَتْ الْكَثِيرَ مِنْ سَفْنِهَا وَمُعَدَّاتِهَا  
فَيَقْفِزُ إِلَى مَرَكَبٍ صَغِيرٍ



يَهْرُبُ بِهِ إِلَى صَقْلِيَّةَ ، إِلَّا أَنَّهُ يُقْتَلُ هُنَاكَ عَلَى أَيْدِي أَهْلِهَا  
الَّذِينَ عَاقَبُوهُ عَلَى هَزِيمَتِهِ وَهَرَبِهِ .



وَيَقْتُلُ قُسْطَنْطِينَ تَنْهَارُ الْقُوَّاتُ الْبِيزَنْطِيَّةُ الْبَاقِيَّةُ وَيَسْتَسْلِمُ  
مُعْظَمُهَا .

فَيُكْمَلُ الْمُسْلِمُونَ الْمَعْرَكَةَ حَتَّى النَّصْرَ ، لِتُصْبِحَ لَهُمْ سِيَادَةُ  
الْبَحْرِ بَعْدَ ذَلِكَ ؛ يَتَّجِهُونَ فِيهِ نَحْوَ أَيْ مَكَانٍ دُونَ عَائِقٍ أَوْ  
حَدٍّ يَحْدُهُمْ .





رقم الإيداع : ٣٦٣٦

الطبع الأول : ٧ - ٢٦٤ - ٢٦٦ - ٩٧٧

